من معجزات رسول الله محمد ﷺ

- معجزة عام الفيل كانت إرهاصاً بالمولد النبوي
- بركة اليتيم، وشق صدره الشريف
- الأمي الذي علم الدنيا كلها
- معجزة الإسراء والمعراج
- نجاة رسول الله ﷺ من القتل ليلة الهجرة
- تأييد الملائكة لرسول الله ﷺ
- إطلاع الله تعالى رسوله على أحداث غزوة مؤتة
- إخبار النبي ﷺ بما سيكون بين عليّ ومعاوية
- تكثير الطعام والشراب
- استشهاد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما
- القرآن الكريم المعجزة الخالدة
- إخباره ﷺ بالغيب فيكون كما أخبر
- هزيمة الفرس وانتصار الروم
- كروية الأرض
- من معجزات القرآن العلمية
- العظام
- إخباره ﷺ عن مقتل العنسي كذاب اليمن

obeikandl.com

obeikandl.com

معجزة عام الفيل
كانت إرهاصاً بالمولد
النبوي الشريف

في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ جاء الحبشة ليهدموا بيت اللّه الحرام[١]،

(١) تروي كتب السيرة: أن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث «أرياط» إلى أرض اليمن فغلب عليها، فقام رجل من الحبشة، يقال له: «أبرهة بن الصباح» أبو يكسوم فساخَطَ «أرياط» في أمر الحبشة، حتى انصدعوا صدعين، وكانت طائفة مع أرياط، وطائفة مع أبرهة، فتزاحفا فقتل أبرهة أرياطَ، واجتمعت الحبشة لأبرهة، وغلب على اليمن وأقرّه النجاشي على عمله.

ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت اللّه، فبنى كنيسة بصنعاء، وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يُبْنَ لملِك مثلها، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع به رجل من بني مالِك بن كنانة فخرج إليها مستخفياً فدخلها ليلاً فقعد فيها وتغوَّط بها، ولطخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة، فقال: من اجترأ عليّ ولطخ كنيستي بالعذرة؟ فقيل له: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلتَ، فحلف أبرهة عند ذلك: ليسيرنّ إلى الكعبة حتى يهدمها، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له: محمود، وكان فيلاً لم ير مثله عِظَماً وجسماً وقوة، فبعث به إليه، فخرج أبرهة من الحبشة سائراً إلى مكة، وخرج معه بالفيل، فسمعت العرب بذلك فأعظموه، ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن، يقال له: ذو نفر، بمن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر، فقال: أيها الملك لا تقتلني فإن استبقائي خير لك من قتلي، فاستحياه وأوثقه. وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خَثْعَم، خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزموهم، وأخذ نفيلاً، فقال نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب، وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة، فاستبقاه، وخرج معه يدله، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب في رجال من ثقيف، فقال: أيها الملك، نحن عبيدك، ليس لك عندنا خلاف، وإنما نريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث=

وبيت اللَّه هنا هو الكعبة المشرفة، التي نتجه إليها جميعاً في الصلاة، هذا البيت له

= من يدلُّك عليه، فبعثوا معه أبا رِغَال، مولى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمُغَمَّس مات أبو رِغَال وهو الذي يرجم قبره. وبعث أبرهة من المُغَمَّس رجلاً من الحبشة، يقال له: الأسود بن مسعود، على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نَعَمِ الناس، فجمع الأسود إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير.

ثم إن أبرهة بعث حباطة الحِمْيَرِي إلى أهل مكة، وقال: سلْ عن شريفها، ثم أَبْلِغْه ما أُرسِلْكَ به إليه، أخبِرْه أني لم آتِ لقتالِ، إنما جئت لأهدم هذا البيت. فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتالِ إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم.

فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال، ولا لنا به يد إلا أن نخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت اللَّه الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلِّ بينه وبين ذلك فواللَّه ما لنا به قوة.

قال: فانطلِقْ معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها، وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر، وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب، فأتاه فقال: يا ذا نفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشياً؟ ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل، فإنه لي صديق، فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير، ويعظم خطرك ومنزلتك عنده، فقال: فأرسل إلى أنيس فقال له: إن هذا سيد قريش صاحب عير مكة، الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه، فإنه صديق لي، أحبُّ ما وصل إليه من الخير.

فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك، هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن إليك وأنا أحب أنا تأذن له فيكلِّمك، وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك، فأذن له، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً وسيماً، فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردَّ عليَّ مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، وقد زهدت فيك، قال عبد المطلب: لِمَ؟ قال: جئتُ إلى بيت هو دينك ودين آبائك، وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه، لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ قال عبد المطلب؟ أنا رب هذه الإبل، وإن لهذا البيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت وذاك، فأمر بإبله فرُدّتْ عليه.

فلما رُدّتِ الإبل إلى عبد المطلب خرج فأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في=

قالب، هذا القالب أريد به ضر وهدم، وعلينا أن نفهم أن اللّه تعالى حافظ على

= الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال، تخوُّفاً عليهم من معرفة الجيش، ففعلوا وأتى عبدُ المطلب الكعبة، وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يـا ربِّ لا أرْجُـو لَـهُـمْ سِـواكَـا ... يـا رب فـامْـنَـعْ مِـنْـهُـمُ حِـمَـاكَـا
إنَّ عـدوَّ الـبـيـتِ مَـنْ عَـادَكَـا ... امْـنَـعْـهـم أنْ يُـخْـرِبُـوا قُـرَاكَـا

وقال أيضاً:

الـلَّـهُـمَّ إن الـعَـبْـدَ يَـمْـنَـعُ ... رَحْـلَـه فـامْـنَـعْ حـلَالَـكْ
لَا يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـمْ ... وَمِـحَـالُـهـم غَـدْواً مِـحَـالَـكْ
جَـرُّوا جُـمُـوع بِـلَادهـم ... والـفِـيـلَ كـي يَـسْـبُـوا عِـيَـالَـكْ
عَـمَـدُوا حِـمَـاكَ بِـكَـيْـدِهِـمْ ... جَـهْـلاً وَمَـا رَقَـبُـوا جَـلَالَـكْ
إنْ كُـنْـتَ تَـارِكَـهـم ... وكَـعْـبَـتَـنَـا فَـأمْـرٌ مـا بَـدَالَـكْ
فـلـم أسْـمَـعْ بِـأَزْجَـسَ مِـنْ رِجـالٍ ... أرَادُوا الـغَـزْوَ يـنـتـهـكـوا حَـرَامَـكْ

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح أبرهة بالمُغَمَّس قد تهيأ للدخول، وعبَّأ جيشه وهيأ فيله، وكان فيلاً لم يُرَ مثله في العظم والقوة، ويقال: كان معه اثنا عشر فيلاً.

فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم، ثم أخذ بأذنه فقال: ابْرُكْ محمود، وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد اللّه الحرام، فبرك الفيل فبعثوه فأبى، فضربوه بالمعول في رأسه فأبى، فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرام فبرك وأبى أن يقوم.

وخرج نفيل يشتد حتى صعد في الجبل، وأرسل اللّه عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، أمثال الحمص والعدس، فلما غشين القوم أرسلنا عليهم فلم تصب تلك الأحجار أحداً إلا هلك، وليس كل القوم أصابت، وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاءوا منه، يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال، فصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل مهلك.

وبعث اللّه على أبرهة داءً في جسده فجعل يتساقط أنامله، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدةً من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

واختلفوا في تاريخ عام الفيل. =

مبنى البيت في هذا العام، وأوجد في نفس العام الشخص الذي يحافظ على معناه، فتكون المحافظة على المبنى بمنع أبرهه من هدمه، هي بعينها المحافظة على المعنى ببقاء البيت للّه وحده، وذلك بميلاد محمد ﷺ. وإذا كان الحق قد عرض علينا هذه القضية التي لا تحتمل إلا الصدق، فإنه عرضها عرضاً عجيباً.

وهذا العرض العجيب يتجلى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ • أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ • وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ • تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ • فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1] [الفيل: ١ ـ ٥].

= فقال مقاتل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة.
وقال الكلبي: بثلاث وعشرين سنة.
والأكثرون على أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول اللّه ﷺ.
انظر تفسير ابن كثير [٤/ ٥٥٢ ـ ٥٥٦]، وتفسير القرطبي [٢٠/ ١٨٧ ـ ٢٠٠] والسيرة النبوية لابن هشام [٨٤ ـ ١٠٣].

(١) قال الماوردي: قوله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: ألم تخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.
الثاني: ألم تر آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل؟ لأن النبي ﷺ لم ير أصحاب الفيل.
وقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي، وكيد البيت بالتخريب والهدم.
قال: ويحتمل تضليل كيدهم وجهين:
أحدهما: أن كيدهم أضلهم حتى هلكوا.
الثاني: أن هلاكهم أضل كيدهم حتى بطل.
﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنها من طير السماء، قال سعيد بن جبير: لم ير قبلها ولا بعدها مثلها، ويروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ».
الثاني: أنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال، قاله عكرمة.
الثالث: أنها من طير الأرض، أرسلها اللّه تعالى من ناحية البحر، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره، قاله الكلبي. وكانت سوداً، خضر المناقير طوال الأعناق.
وقيل: بل كانت أشباه الوطاويط، وقالت عائشة: كن أشباه الخطاطيف.
واختلف في ﴿أَبَابِيلَ﴾ على خمسة أقاويل: =

ورسول اللَّه ﷺ لم ير الواقعة، ولكنه علم بالقضية من اللَّه تعالى، وهنا نلتفت إلى شيء هام: لماذا قال اللَّه تعالى هنا: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في حين أن المقام يستدعى «ألم تعلم»؟.. قال سبحانه هنا: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لأن العلم إذا كان بواسطة

= **أحدها**: أنها الكثيرة، قاله الحسن وطاوس.
الثاني: المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد.
الثالث: أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا، قاله ابن مسعود والأخفش، ومنه قول الشاعر:

إن سلولاً عداك الموت عارفة ... لولا سلول مشينا أبابيلا

أي متفرقين.
الرابع: أن الأبابيل: المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم.
الخامس: أن تكون جميعاً بعد جمع، قاله أبو صالح وعطاء، ومنه قول الشاعر:

وأبابيل من خيول عليها ... كأسود الأداء تحت العوالي

وقال: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:
أحدهما: أن السجيل كلمة فارسية هي سنك وكل، أولها حجر، وآخرها: طين، قاله ابن عباس.
الثاني: أن السجيل هو الشديد، قاله أبو عبيدة، ومنه قول ابن مقبل:

ورجلة يضربون البيض عن عرضٍ ... ضرباً تواصي به الأبطال سجيلا

الثالث: أن السجيل اسم السماء الدنيا، فنسبت الحجارة إليها لنزولها منها، قاله ابن زيد.
الرابع: أنه اسم بحر من الهواء، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه، قاله عكرمة. وفي مقدار الحجر قولان:
أحدهما: أنه حصى الخذف، قاله مقاتل.
الثاني: كان الحجر فوق العدسة ودون الحمصة، قاله أبو صالح:
رأيت في دار أم هانئ نحو قفيز من الحجارة التي رمى بها أصحاب الفيل، مخططة بحمرة كأنها الجزع.
قال: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ فيه خمسة أقاويل:
أحدها: أن العصف ورق الزرع، والمأكول: الذي قد أكله الدود، قاله ابن عباس.
الثاني: أن العصف المأكول هو الطعام، وهذا قول حسين بن ثابت.
الثالث: أنه قشر الحنطة إذا أكل ما فيه، رواه عطاء بن السائب.
الرابع: أنه ورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته، قاله ابن زيد.
الخامس: أن العصف التين، والمأكول القصيل للدواب، قاله سعيد بن جبير والحسن.
النكت والعيون بتصرف [٦/ ٣٣٨/ ٣٣٤]

obeikandl.com

الإخبار من اللَّه، فيجب أن يستقبله المؤمن استقبال من يرى، واستقباله لما يحدث بالفعل، فليس خبراً عن غيب، فكأن معنى ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ هو معنى ألم تعلم، وكأن الحق يقول: إني أقول لك، وإذا قلت لك فأنا عينك، وكأنك ترى ذلك عيناً.

ويقول اللَّه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾. ومعنى الإضافة هنا يدل على أن المسألة متعلقة بمحمد ﷺ، ﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾[1].

والرب[2] يفيد التربية والكمال، والبلوغ بالمربَّى ـ بفتح الباء ـ إلى مرتبة الكمال: فما دام ﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ فيكون لمحمد ﷺ علاقة بالمحافظة على ذلك البيت.

بعد ذلك يعرض الحق القضية كما نعلم، حيث أرسل طيراً أبابيل رمت القوم بحجارة من سجيل. وهنا وقف بعض العلماء من الغيورين على الإسلام وقالوا: كل قضايا الإسلام تتمشى مع العقل، وجاءوا إلى كل ما يتصل بالغيب الذي يقف فيه العقل، وحاولوا تأويله تأويلاً يرضي العقل، حتى يدفعوا التهمة عن الدين بأنه لا يتمشى مع العقل، وعلى رأس هؤلاء علماء كبار، ومدارس عقلانية لها مذاهب شتى، جاءوا إلى هذه الحادثة التي عاصرت ميلاد النبي ﷺ، وقالوا: إن الطير الأبابيل التي ترمي بحجارة من سجيل هي «الميكروبات»!! أرسلها اللَّه على ذلك الجيش، وإذا سألتهم لماذا قالوا ذلك؟ كانت الإجابة ليقربوا المسألة إلى أذهان الناس، حتى لا يتهم الإسلام بأنه يأتي بأشياء لا تطابق العقل.

ونسي هؤلاء أو تناسوا أن الدين لا يناقش بهذا الشكل، وأن مهمة العقل الأساسية هي في تعرفك على اللَّه والإيمان برسوله فإن آمنت باللَّه وصدقت برسوله، فعليك أن تتقبل عن اللَّه بعد ذلك كل ما يقول، ولا تدخل عقلك في كل

---

(١) قال أبو حيان: وفي خطابه تعالى لنبيه ﷺ بقوله: ﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ تشريف له ﷺ وإشادة من ذكره، كأنه قال: ربك معبودك هو الذي فعل ذلك، لا أصنام قريش أساف ونائلة وغيرهما.

البحر المحيط [١٠/ ٥٤٤]

(٢) الرب في الأصل للتربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، ولا يقال «رب» مطلقاً إلا للَّه تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ وبالإضافة يقال له ولغيره، نحو قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والرب لا يقال في التعارف إلا في اللَّه وجمعه أربَّة، وربوب.

المفردات في غريب القرآن [١٨٩]

جزئية مما يقول. لماذا؟ لأنك إن أدخلت عقلك في كل جزئية مما يقول فقد رجعت في قضيتك الأولى، وهي الإيمان بالله.

إذاً.. فاحتراماً لعقلك ما دمت آمنت بالله فيجب أن يكون عملك هو توثيق النقل عن الله. أقال الله ذلك أم لم يقله؟

فإذا كانت المسألة كما يريد العقلانيون أن يفسروها، وهو أنه ميكروب، أو طير يحمل حجارة فيها ميكروب، نقول لهم: إن حادث الفيل قد وقع عام ميلاده ﷺ، كما أن رسول الله ﷺ بعث على رأس الأربعين من عمره المبارك. ولا شك أن قوماً من الذين عاصروا رسالة رسول الله كان منهم من هو في سن الستين، ومنهم من هو في السبعين، وهناك من بلغوا الثمانين، إذاً.. فقد كانوا في عام الفيل في سن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين. ويعني ذلك أنهم قد شاهدوا الحدث، وهم لم يعرفوا الميكروب، ولم يعلموا عنه شيئاً.

فلو أن القضية التي رآها هؤلاء عام الفيل تعارض أي جزئية من جزئيات القرآن التي قصها: طير أبابيل.. ترمي بحجارة من سجيل.. تجعلهم كعصف مأكول ـ لكان من الميسور على المكذبين أن يقولوا: أرأيتم أنه يقول ما لم يحدث؟!

إذاً.. فالمسألة حدثت كما قصها القرآن الكريم، وكما يفهمها العربي من الطير الأبابيل التي ترمي بحجارة من سجيل، فتجعلهم كعصف مأكول.

وهب أنك جئت بالميكروب، فلماذا جئت به؟ ألتُسَهلها على الله؟ بالقطع لا. نقول له: وحتى إن كنا نصدقك في الميكروب، فما ذلك الطير العاقل، والطير الموجه الذي لا يتوجه إلا إلى أعداء الكعبة؟ يختار قوماً دون قوم فيلقي عليهم ميكروباً، وما هو ذلك الميكروب الذي يفعل فعل السحر في أنه مجرد أن يُلقى يفتك بالجسم فيجعله كعصف مأكول، بدلالة الفاء ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾. وهذه الفاء للترتيب والتعقيب[1]، والميكروب كما هو معروف عنه إذا دخل جسماً

---

(١) قال ابن هشام: الفاء المفردة: حرف مهمل. وترد على ثلاثة أوجه:
أحدها: أن تكون عاطفة، وتفيد ثلاثة أمور:
أحدها: الترتيب، وهو نوعان: معنوي كما في مقام زيد فعمرو. وذكر وهو عطف مُفصَّل على مُجْمل، نحو: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.
الأمر الثاني: التعقيب، وهو في كل شيء بحسبه.
الأمر الثالث: السببية، وذلك غالب في العاطفة جملة أو صفة.
مغني اللبيب [١/ ١٨٣، ١٨٥]

فلا بدّ له من فترة طويلة من الحضانة، ثم فترة طويلة من الفتك، ثم بعد فترة طويلة بعدها يتعفن الجسم وينتن، وإذا تعفن وأنتن فبعد ذلك يتمزق. فما ذلك الميكروب العاقل الذي إذا نزل الجسم جعله كأنه عصف مأكول في الحال.

إذن.. فسواء قلت ميكروباً، أو غير ميكروب، وفعل اللّه متجلٍّ في كل شيء، ولو كان في الميكروب كما تقول.. ويجب أن نتنبه دائماً إلى أن الحق سبحانه وتعالى حين يعرض أمراً من الأمور فيقول: ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ فهذا يعني أنه يجب كما قلنا أن تطرح قوانينك، لأن الذي فعل هو ربك.. وما دام ربك فلا تأتي بالقوانين التي هي في عرفك الفاعلة. وانتهت المسألة.. وإلغاء عقلك وقوانينك إنما ثقة فيمن قال، فلا يهم ما إذا تحملها عقلي أم لم يتحملها، لأن الإيمان هو التصديق بكل ما قاله تعالى. ولذلك قال بعضهم: «العقل كالمطية، يوصلك إلى باب السلطان، ولكن لا يدخل معك عليه».

ogarkandl.com

بركة اليتيم، وشق صدره الشريف

شاء اللّه سبحانه وتعالى أن ينشأ ﷺ يتيماً حتى لا يقال: إنه استخدم نفوذ أبيه، أو أنه استند إلى سلطان غير سلطان اللّه. وحتى إنه وهو طفل رضيع، وحين كانت تعرضه أمه على المراضع، وكان من عادة المرضعات أن يأتين من البادية يبحثن عن طفل له أب حتى يجزل لهن العطاء، نجد أنه ما من امرأة عرض عليها النبي محمد ﷺ، إلا وترفضه حينما تعلم أنه يتيم الأب، لأن كلاً منهن كانت تريد المال من أبي الطفل، إلا ما كان من حليمة السعدية التي لم تجد طفلاً لترضعه. فعندما وجدت نفسها أنها هي الوحيدة التي لم تفز بطفل ترضعه.. قالت: واللّه إني لأكره أن أرجع بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، واللّه لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، عسى اللّه أن يجعل لنا فيه بركة.

وتأخذ حليمة الطفل اليتيم فيمتلئ بيتها بالبركة، وتجد ماشيتها المرعى فتسمن وتكبر، وماشية القوم كلهم لا تجد مرعى في أرض بني سعد الجدباء، وكانت أغنام حليمة تحلب اللبن الوفير وغنم قومها لا تحلب قطرة لبن، حتى كان القوم يقولون لرعاتهم: اسرحوا حيث تسرح غنم حليمة السعدية[١].

---

(١) قال ابن إسحاق: كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول اللّه ﷺ التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن الرضعاء، قالت: وذلك في سنة لم تبق لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء، معنا شارف لنا، واللّه ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع مع صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهن ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول اللّه ﷺ فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم!! وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: واللّه إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، واللّه لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى اللّه أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت=

وفي يوم من الأيام بينما كان رسول اللّه ﷺ في البادية يلعب مع عبد اللّه بن الحارث، وهو ابن حليمة مرضعة رسول اللّه ﷺ، وأخوه في الرضاعة ـ جاء رجلان عليهما ثياب بيض، ثم أخذاه ﷺ وشقا بطنه وصدره، واستخرجا من قلبه شيئاً أشبه بالعلقة السوداء، ثم غسلا صدره بشيء يشبه الثلج، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فرجحت كفته، فقال: زنه بمائة من أمته فرجحت كفته، ثم قال: زنه بألف من أمته فرجحت كفته، فقال: واللّه لو وزنته بأمته كلها لرجحت كفته[1].

= إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي واللّه يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: واللّه إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي، فواللّه لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ويحك!! اربعي علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى واللّه إنها لهي هي، فيقلن: واللّه إن لها لشأناً، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض اللّه أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم!! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرف من اللّه تبركاً والزيادة في ذلك والخير المزيد حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جعفراً، قالت: فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلنا لها: لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم نزل بها حتى ردته معنا، قالت: فرجعنا به.

السيرة النبوية لابن هشام [٢١١ ـ ٢١٣]

(١) عن أنس بن مالك «أن رسول اللّه ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، =

وقد قيل: إن الملكين نقّيا قلب رسول اللّه ﷺ وهو طفل من حظ الشيطان الذي يوجد في كل إنسان.. حتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد.. وهنا أسرع عبد اللّه إلى أمه وأبيه وهو منزعج.. وقال لهما: إن أخي القرشي أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فشقا بطنه وصدره.. فخرجت حليمة وزوجها منزعجين، فوجدا رسول اللّه ﷺ واقفاً كأنه لم يصب بسوء.

= وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره.

أخرجه مسلم [١٦٢/ ٢٦١]

obeikandl.com

الأمي الذي علم الدنيا كلها

اختار اللّه سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أمياً، ومعنى أُمّي[١] : أي كما ولدته أمه، لم يتلق علماً من بشر، وكانت هذه الأمية شرفاً لرسول اللّه ﷺ . لماذا؟ لأن اللّه سبحانه وتعالى الذي اختاره واصطفاه ليكون خاتم المرسلين، أراد أن يعلمه سبحانه.

فلو أن رسول اللّه ﷺ كان يقرأ أو يكتب لقالوا: أخذ العلم من كتب الأولين، أو من حضارات الأمم الأخرى، ولذلك اختار له اللّه سبحانه وتعالى أن ينشأ أمياً، حتى يعرف الجميع أن كل علم رسول اللّه ﷺ جاءه من اللّه تعالى، ورغم هذا الاختيار وهذه الحكمة فقد غفلت عقول الكفار عنها. وادعوا أن رسول اللّه ﷺ يعلمه بشر[٢]، وزعموا أنه جاء بهذا العلم من أساطير

---

(١) قال الراغب الأصفهاني:
الأمي: هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب اللّه.
قال قطرب: الأمية، الغفلة والجهالة.
قال الفراء: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب.
وقيل: سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب، وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان اللّه منه.
وقيل: سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى.
المفردات في غريب القرآن [١٩، ٢٠]

(٢) قال اللّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]
قال القرطبي: اختلف في اسم هذا الذي قالوا: إنما يعلمه، فقيل: هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر، كان نصرانياً فأسلم؛ وكانوا إذا سمعوا من النبي ﷺ ما مضى وما هو آت ـ مع أنه أمي لم يقرأ ـ قالوا: إنما يعلمه جبر وهو أعجمي؛ فقال اللّه تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾.
أي كيف يعلمه جبر ـ وهو أعجمي ـ هذا الكلام الذي لا يستطيع الإنس والجن أن يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها. =

obeikandl.com

الأولين[١]، ويرد اللَّه تبارك وتعالى عليهم فيذكرهم بأن رسوله المصطفى وخليله المجتبى لم يقرأ كتاباً من قبل ولا يعرف الكتابة، وذلك قوله سبحانه

= قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

قال القرطبي: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني قريشاً قال ابن عباس: قالوا للنضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ قال: أرى تحريك شفتيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثل ما أحدثكم عن القرون الماضية؛ وكان النضر صاحب قصص وأسفار، فسمع أقاصيص في ديار العجم مثل قصة رستم وأسفنديار فكان يحدثهم.

تفسير القرطبي [٦/ ٤٠٥]

قال ابن عطية: بيَّن تعالى الحجة على المبطلين المرتابين ما وضح أن مما يقوي نزول هذا القرآن من عند اللَّه أن محمداً ﷺ جاء به في غاية الإعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلو كتاباً ولا يخط حرفاً، ولا سبيل له إلى العلم، فإنه لو كان ممن يقرأ: ﴿لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وكان لهم في ارتيابهم متعلق، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده.

المحرر الوجيز [٤/ ٣٢١، ٣٢٢]

(١) قال الشوكاني: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي أن هذا القرآن المتلو عليكم هو بمشيئة اللَّه وإرادته، ولو شاء اللَّه أن لا أتلوه عليكم ولا أبلغكم إياه ما تلوته.

فالأمر كله منوط بمشيئة اللَّه ليس لي في ذلك شيء.

قوله: ﴿وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ معطوف على ما تلوته، ولو شاء اللَّه ما أدراكم بالقرآن، أي ما أعلمكم به على لساني يقال: دريت الشيء وأدراني اللَّه به.

وقال: قوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ تعليل لكون ذلك بمشيئة اللَّه، ولم يكن من النبي ﷺ إلا التبليغ، أي قد أقمت فيما بينكم عمراً من قبله، أي زماناً طويلاً. وهو أربعون سنة من قبل القرآن، تعرفونني بالصدق والأمانة، لست ممن يقرأ ولا ممن يكتب.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة للتقريع والتوبيخ، أي أفلا تجرون على ما يقتضيه العقل من عدم تكذيبي لما عرفتم من العادة المستمرة إلى المدة الطويلة بالصدق والأمانة، وعدم قراءتي للكتب المنزلة على الرسل، وتعلمي لما عند أهلها من العلم. ولا طلبي لشيء من هذا الشأن ولا حرصي عليه، ثم جئتكم بهذا الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بسورة منه، وقصرتم عن معارضته، وأنتم العرب المشهود لهم بكمال الفصاحة، المعترف لهم بأنهم البالغون فيها إلى مبلغ لا يتعلق به غيركم.

فتح القدير [٢/ ٤٤٧، ٤٤٨]

obeikandl.com

وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

إذاً.. فالحق سبحانه وتعالى يلفت البشرية كلها إلى أنه اختار أن يكون رسوله ﷺ أمياً؛ حتى يدحض ما يدعيه أنصار الباطل وأعداء الإيمان، من أن رسول الله ﷺ أتى بالقرآن من عنده، ولذلك فالحق سبحانه وتعالى يقول لنبيه: لو أنك كنت تقرأ أو تكتب قبل أن تأتيك النبوة؛ فربما كان ذلك حجة لأنصار الباطل أن يقولوا: إن هذا القرآن من عندك، ولكنك لا تقرأ ولا تكتب، لم تقرأ كلمة واحدة في حياتك قبل الرسالة، ولا كتبت كلمة واحدة. إذاً فحجتهم باطلة لا سند لها من الحقيقة، وإنما هي مكابرة لعدم الإيمان وحجة للكفر، وحجتهم مردودة عليهم، وفي ذلك يقول الله جل جلاله لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

وهكذا كانت الأمية شرفاً لرسول الله ﷺ، وضرورة للرد على دعاوى الباطل، ويقيناً للمؤمنين؛ لأن كل ما أتى به الرسول ﷺ إنما هو وحي من خالق الأرض والسماء.

obeikandl.com

معجزة الإسراء والمعراج

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] [الإسراء: ١].

(١) قال الماوردي: أما قوله: ﴿سُبْحَانَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: تنزيه الله تعالى من السوء، وقيل: بل نزه نفسه أن يكون لغيره في إسراء عبده تأثير.

الثاني: معناه برأه الله تعالى من السوء، وقد قال الشاعر:

أقول لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر

وهو ذكر تعظيم لله لا يصلح لغيره، وإنما ذكره الشاعر على طريق النادر، وهو من السبح في التعظيم، وهو الجري فيه إلى أبعد الغايات. وذكر أبان بن ثعلبة أنها كلمة بالنبطية «شبهانك».

وقد ذكر الكلبي ومقاتل: إن ﴿سُبْحَانَ﴾ في هذا الموضع بمعنى عجب، وتقدير الآية: عجب من الذي أسرى بعبده ليلاً، وقد وافق على هذا التأويل سيبويه وقطرب، وجعل البيت شاهداً عليه، وأن معناه: عجبٌ من علقمة الفاخر. ووجه هذا التأويل أنه إذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح فقيل عجب، ومثله قول بشار:

تلقي بتسبيحة من حيثما انصرفت ... وتستفزُّ حشا الرائي بإرعاد

وقد جاء التسبيح في الكلام على أربعة أوجه:

أحدها: أن يستعمل في موضع الصلاة، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] أي: من المصلين.

الثاني: أن يستعمل في الاستثناء، كما قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] أي لولا تستثنون.

الثالث: النور، للخبر المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأحرقت سبحات وجهه»[1] أي نور وجهه. =

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٧٩/٢٩٣] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه.

الحق جل جلاله يخبرنا بأن محمداً ﷺ أُسرِي به، وما دام اللَّه هو الذي

= **الرابع**: التنزيه، روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن التسبيح فقال: «تنزيه اللَّه تعالى عن السوء».

وقوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أي بنبيه محمد ﷺ، والسرى: سير الليل، قال الشاعر:

ولـيـلـة ذات نـدىً سَـرَيـت ولـم يـلـتـنـي مِـنْ سُـراهـا لـيـت

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني من الحرم، والحرم كله مسجد. وكان ﷺ حين أسرى به نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، روى ذلك أبو صالح عن أم هانئ.

الثاني: أنه أسري به من المسجد، وفيه كان حين أسري به روي ذلك عن أنس بن مالك. ثم اختلفوا في كيفية إسرائه على قولين:

أحدهما: أنه أسري بجسمه وروحه، روى ذلك ابن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان.

واختلف قائلو ذلك: هل دخل بيت المقدس وصلى فيه أم لا؟

فروى أبو هريرة أنه صلى فيه بالأنبياء، ثم عرج به إلى السماء، ثم رجع به إلى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته.

وروى حذيفة بن اليمان أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يُصلّ فيه، ولا نزل عن البراق حتى عرج به، ثم عاد إلى مكة.

والقول الثاني: أن النبي ﷺ أسري بروحه ولم يسر بجسمه، روي ذلك عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: ما فُقِد جَسَدُ رسول اللَّه ﷺ، ولكن اللَّه أسرى بروحه.

وروي عن معاوية قال: كانت رؤيا من اللَّه تعالى صادقة، وكان الحسن يتأول قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] أنها في المعراج، لأن المشركين كذبوا ذلك، وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس، وما رأى في طريقه فوصفه لهم، ثم ذكر لهم أنه رأى في طريقه قعباً مغطى مملوءاً ماء، فشرب الماء ثم غطاه كما كان، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعاً، وأنها تقدمُ يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق؛ فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل: منهم: هذه واللَّه الشمس قد أشرقت ولم تأت، وقال آخر: هذه واللَّه العير يقدمُها جمل أورق كما قال محمد. وفي هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسري بجسمه وروحه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ يعني: بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام. وسمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام.

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالثمار ومجاري الأنهار.

الثاني: بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين؛ ولهذا جعله مقدساً. =

obeikandl.com

أسرى، فإياك أن تقول كيف قطع المسافة وكيف صعد إلى السماء السابعة؟ وكيف وصل إلى سدرة المنتهى؟

اللّه سبحانه وتعالى هو الذي أسرى به، وما دام الفعل من اللّه لا يقاس بقوانين البشر، والفعل ينسب دائماً إلى قوة الفاعل. فإن سافرت إلى الإسكندرية مثلاً سيراً على الأقدام فإن الرحلة تستغرق ثلاثة أيام، فإذا كانت بالسيارة استغرقت ثلاث ساعات، أما إذا كانت بالطائرة فتستغرق ثلاثين دقيقة.

إذاً.. فكلما زادت القوة قل الزمن، فإذا كان اللّه سبحانه وتعالى هو الذي أسرى فاللّه سبحانه قادر على فعل أي شيء في لا زمن؛ لأن الفعل يأخذ قوته كما قلنا من الفاعل. ولقد أسرى اللّه سبحانه وتعالى برسوله ليعطينا من الإسراء الدليل على صدق رسول اللّه ﷺ في المعراج، فإن أحداً منا لم يصعد إلى السماء ليرى ما فيها، فرواية رسول اللّه ﷺ عن المعراج لا يوجد عليها دليل مادي، ولكن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى هو رحلة قام بها الكثيرون، فهم يعرفون عنها علماً وخبرة، فإذا ما روى لهم رسول اللّه ﷺ مشاهداته في هذه الرحلة، وتيقنوا من صدقه ﷺ، صدقوا حديثه عن المعراج.

= وروى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول اللّه تعالى: يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي».

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الآيات التي أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة، وهي مسيرة شهر.

الثاني: أنه أراه في هذا المسرى آيات.

وفيها قولان:

أحدهما: ما أراه من العجائب التي فيها اعتبار.

الثاني: من أري من الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وصف نفسه في هذا الحال بالسميع والبصير، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها؛ لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل، فلا يضر ألا يبصر فيها، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأله، فلهذين وصف اللّه نفسه بالسميع البصير.

الثاني: أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه، فقال: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ يعني لما يقولونه من تصديق أو تكذيب، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج.

النكت والعيون [٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧]

obeikandl.com

ولذلك نجد أن الذين عارضوا رسول اللَّه ﷺ في الإسراء والمعراج.. ماذا قالوا؟ الرسول ﷺ لما قال لهم: أُسري بي إلى بيت المقدس، وعرج بي إلى سدرة المنتهى، وعدت في ليلة واحدة، انقسموا قسمين: الذين يؤمنون بصدق الرسول ﷺ وأنه مبلغ عن اللَّه تعالى قالوا: نصدقك فيما قلت، فأنت الصادق الأمين، وأنت المبلغ عن اللَّه.

والذين لا يؤمنون بحثوا عن ثغرة لينشروا الضلال، قالوا له: أتدعي أنك أتيتها في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً؟!

وكان أبو بكر الصديق رضي اللَّه تعالى عنه قال: إن كان قال فقد صدق، وهذا هو صدق الإيمان.

نعم.. إن ما قاله رسول اللَّه ﷺ هو أمر مخالف للنواميس، ولكن كون الرسول ﷺ هو الذي قال، فهذا هو الدليل على صدق ما حدث.

وعندما جاء غير المؤمنين يجادلون أبا بكر قال: أأصدقه في خبر السماء وأكذبه في هذا؟.. ما دام قال فقد صدق[1].. كلام منطقي.

عندما أنكر غير المؤمنين أن يكون رسول اللَّه ﷺ قد ذهب إلى بيت المقدس، وصعد إلى سدرة المنتهى، وعاد في ليلة واحدة، أعطى لهم أمارات مما

---

(١) قال ابن هشام: ارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه، ورجع إلى مكة!! قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس، فقال أبو بكر: واللَّه لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟ فواللَّه إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا نبي اللَّه أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم، قال: يا نبي اللَّه، فصفه لي، فإني قد جئته، قال الحسن: فقال رسول اللَّه ﷺ: «فرفع لي حتى نظرت إليه فجعل رسول اللَّه ﷺ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول اللَّه ﷺ، كلما وصف له منه شيئاً قال: صدقت، أشهد أنك رسول اللَّه، قال: حتى إذا انتهى، فقال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر: «أنت يا أبا بكر الصديق» فيومئذ سماه الصديق.

سيرة ابن هشام [٢/ ٦، ٧]

والحديث صحيح، إسناده مرسل، أخرجه الحاكم في المستدرك [٣/ ٦٢ ـ ٦٣] من حديث عائشة رضي اللَّه تعالى عنها، وصححه وأقره الذهبي.

رآه في الطريق، فأخبرهم عن العير القادمة، ووصف لهم ما رآى.. إلخ، كل هذا الجدل أعطانا حجة إيمانية تنفعنا إلى يوم القيامة، ولو مرّ الإسراء والمعراج دون أن يتعرض له أعداء الدين، لكنا نجد اليوم من يزعمون أن رسول اللّه ﷺ رأى رؤيا، وكنا لا نستطيع أن نرد على هؤلاء.

إذاً.. فأعداء الإسلام قالوها وشككوا في معجزة الإسراء والمعراج، حتى يعطينا اللّه الحجة الإيمانية الدامغة، وتكون مهمة أعداء الدين هي تثبيت الإيمان.. لماذا؟ لأنهم لو قال لهم رسول اللّه ﷺ أنه رأى فيما يرى النائم بأنه ذهب إلى بيت المقدس ـ ما كان أحد ليناقشه.. لماذا؟ لأن الإنسان في الرؤيا يرى أشياء غريبة ولا أحد يناقشه فيها، ولكن كون أنهم كذبوه فإن هذا دليل على أنهم فهموا أن الذهاب بالجسد وليس مجرد رؤيا منامية[1].

إذاً.. فهذا التكذيب من الكفار قد نفعنا الآن لأنه حينما يأتي مجادل ليقول لنا: إن رسول اللّه ﷺ، رأى في المنام أنه ذهب إلى بيت المقدس.. نقول له: أنت كاذب.. لو كانت هذه هي الحقيقة كما تزعم لما ناقش غير المؤمنين رسول اللّه ﷺ وما كذبوه.

(١) قال الشوكاني: والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس، ثم إلى السموات، ولا حاجة إلى التأويل وصرف هذا النظم القرآني وما يماثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة، ولا مقتضى لذلك إلا مجرد الاستبعاد وتحكيم محض العقول القاصرة عن فهم ما هو معلوم من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شيء.

فتح القدير [٣/ ٢١٢]

وقال الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة: جمهور العلماء ـ سلفاً وخلفاً ـ على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا في اليقظة بجسده وروحه ﷺ، وهذا هو الذي يدل عليه قوله تعالى في مفتتح سورة الإسراء ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ إذ ليس ذلك إلا الروح والجسد. وقد تواردت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة، والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظواهرها، وأنّى هو؟

السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة [١/ ٤١٠]

obeikandl.com

نجاة رسول اللّه ﷺ من القتل ليلة الهجرة

إن المؤامرة لقتل رسول اللّه ﷺ في ليلة الهجرة شارك فيها شياطين الإنس والجن، واللّه سبحانه وتعالى شاء أن يتحدى كل ما دبروه لرسول اللّه ﷺ في الخفاء. وكان الأسلوب لا بدّ أن يكون ظاهراً فيه القدرة الإلهية التي تحفظ رسول اللّه ﷺ، فلم يشأ الحق تبارك وتعالى أن يخفي رسول اللّه ﷺ في مكان أمين لا يصل إليه الكفار، فأبقاه في بيته وعرف الكفار أنه في بيته.

ولم يشأ اللّه سبحانه وتعالى أن يجعل رسوله ﷺ يخرج من البيت قبل أن يصل إليه الرجال الأشداء الذين اختيروا لتنفيذ مؤامرة قتل رسول اللّه ﷺ؛ بل وصل هؤلاء الرجال.. وأحاطوا ببيت رسول اللّه ﷺ والرسول موجود في البيت، وهكذا اكتملت كل أركان المؤامرة.

رسول اللّه ﷺ نائم في بيته، والرجال الذين جاءوا لقتله يحاصرون البيت. ثم ماذا حدث؟ حين خرج رسول اللّه ﷺ من بيته.. سلب اللّه الأبصار من عيون الرجال الذين جاءوا لقتل رسول اللّه ﷺ، وألقى عليهم النوم، وأمسك رسول اللّه ﷺ.. بحفنة من التراب وقذف بها وجوههم وقال: «شاهت الوجوه»[1]. ولم يتحرك أحد منهم، ولم يحس بأن رسول اللّه ﷺ يمر من بينهم في طريقه إلى الغار[2].

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٧٧٧] من حديث سلمة بن الأكوع رضي اللّه تعالى عنه، ورواه أحمد [١/ ٣٠٣، ٣٦٨] والحاكم [٣/ ١٥٧] وصححه، وأبو نعيم في الدلائل [١٣٩] والبيهقي في الدلائل [٦/ ٢٤٠] من حديث ابن عباس رضي اللّه تعالى عنه، وذكره الهيثمي في المجمع [٨/ ٢٢٨] وقال: رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وصححه الشيخ شاكر [٢٧٦٢].

(٢) قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هاشم فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم كجنان الأردن، وإن لم تفعلوه كان له فيكم ذبح، ثم=

وكان هذا هو التحدي الحقيقي للكفار، فلو أن رسول اللَّه ﷺ اختفى في مكان لا يعرفونه لقالوا: لو وجدناه لقتلناه. ولو أنه ﷺ خرج من بيته قبل أن يصل الكفار الذين أعدوا لقتله لقالوا: لو وصلنا وهو في بيته لقتلناه. لقد عرفوا مكانه وهو نائم في فراشه، ولكنهم عجزوا عن قتله، وخرج ﷺ سالماً.

❁ ❁ ❁

= بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول اللَّه ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدهم «وأخذ» اللَّه تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس [١ ـ ٩] ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ حتى فرغ رسول اللَّه ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

سيرة ابن هشام [٢/ ١٠٣، ١٠٤]

obeikandl.com

العنكبوت والحمام على باب الغار

عندما هاجر رسول اللّه ﷺ من مكة إلى المدينة، التجأ هو وأبو بكر رضي اللّه تعالى عنه إلى غار ثور واختبآ داخله.. وجاء الكفار ووقفوا عند مدخل الغار وملأ الخوف قلب أبي بكر من أن يقع رسول اللّه ﷺ في أيدي الكفار، وقال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا[1]. كان أبو بكر رضي اللّه تعالى عنه يقرر واقعاً، فالكفار واقفون عند مدخل الغار، والنبي ﷺ وأبو بكر في داخله، ونظرة واحدة من الكفار إلى داخل الغار تكشف الأمر كله. فماذا قال رسول اللّه ﷺ؟ رفع الأمر إلى اللّه، وقال: «ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما»؟ وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[2].

إذاً.. فالرسول ﷺ رفع الأمر إلى اللّه، وهو وأبو بكر في معية اللّه. وأصبح هنا قول أبو بكر: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا».. هو قول يعتمد على الذاتية البشرية، ولكن قول الرسول ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ معناه بقدرة البشر: أنهم لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا، ولكننا ما دمنا في معية اللّه وخرجنا تنفيذاً لأمره سبحانه وتعالى فإنهم لن يرونا. ذلك أن قدرة اللّه ستزيغ

---

(١) قال ابن كثير: ذلك أن أبا بكر رضي اللّه تعالى عنه لشدة حرصه بكى حين مر المشركون، وقال: يا رسول اللّه، لو أن أحدهم نظر موضع قدميه لرآنا فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما؟».

تفسير ابن كثير [٢/ ٣٤٣]

أخرجه البخاري في صحيحه [رقم: ٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤١٦٣]، ومسلم [١/ ٢٣٨١].

(٢) قال الماوردي: يريد أن النبي ﷺ قال لصاحبه أبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فاحتمل قوله ذلك له وجهين:

أحدهما: أن يكون تبشيراً لأبي بكر بالنصر من غير أن يظهر منه حزن.

والثاني: أن يكون قد ظهر منه حزن، فقال له ذلك تخفيفاً وتسلية.

وليس الحزن بحزن خوفٍ، وإنما هو تألم القلب بما تخيله من ضعف الدين بعد الرسول، فقال له النبي ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: ناصرنا على أعدائنا.

النكت والعيون [٢/ ٣٦٤]

أبصارهم فلن يرونا، وحتى إذا نظروا تحت أقدامهم فلن يرونا، ذلك لأن اللّه سبحانه وتعالى هو الذي يحفظنا، فنحن لا نحفظ أنفسنا. . ويستفاد من هذه الآية أن اللّه سبحانه وتعالى إذا كان معنا كانت لنا الغلبة، وأننا يجب أن نستعين باللّه في جميع الأمور.

فالحق سبحانه وتعالى له ملك ما في السماوات وما في الأرض، فلا يخرج عن ملكه شيء. . ورسول اللّه ﷺ حينما التجأ إلى الغار، ووقف الكفار عند مدخل الغار جاء الحمام والعنكبوت[1]، فوضع سداً عقلياً لفتحة الغار، أقنع عقول الكفار بأنه لا يمكن أن يكون ﷺ قد دخل الغار منذ ساعات، وفي الوقت نفسه سلب سبحانه الإبصار من عيون الكفار بحيث لا ترى محمداً ﷺ وصاحبه داخل الغار، وقد كان، وما دام كل شيء في الكون مؤتمراً بأمر اللّه تعالى، فستظل صفة العزة للّه وحده.

❁ ❁ ❁

(١) ذكر ابن سعد بسنده: أن النبي ﷺ، ليلة الغار أمر اللّه شجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته، وأمر اللّه العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر اللّه حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار.

طبقات ابن سعد [١/ ٢٢٩]

وقال ابن كثير: وعمى اللّه عليهم باب الغار، ويقال: ـ واللّه أعلم ـ إن العنكبوت سدت على باب الغار، وإن حمامتين عششتا على بابه.

سيرة الرسول [٥١، ٥٢]

ذكر العنكبوت ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده [١/ ٣٤٨] من حديث ابن عباس رضي اللّه تعالى عنه وفيه عثمان الجزري وهو ضعيف، وضعفه الشيخ شاكر [٣٢٥١] وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٧/ ٢٧] ونسبه الطبراني، وانظر الدر المنثور [٣/ ١٧٩]

obeikandl.com

تأييد الملائكة لرسول الله ﷺ

يقول تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[1] [الأنفال: ١٧].

رسول اللَّه ﷺ، ملأ كفه بالحصى ورماها في اتجاه جيش قريش، وكان هذا في غزوة بدر[2]. ولكن هل في إمكان رسول اللَّه ﷺ ببشريته أن يوصل الحصى إلى كل أفراد جيش الكفار؟

الذي حدث أنه عندما ألقى رسول اللَّه ﷺ بالحصى وصل الحصى إلى كل أفراد جيش الكفار.

إذاً.. فظاهر الرمي من رسول اللَّه ﷺ.. وإيصال الحصى للجيش بقدرة اللَّه جل جلاله[3].

---

(١) وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت.

تفسير ابن كثير [٢/ ٢٨٣]

(٢) روى علي بن طلحة عن ابن عباس قوله: رفع رسول اللَّه ﷺ يديه - يعني يوم بدر - فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً، فقال جبريل: «خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم» فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين.

تفسير ابن كثير [٢/ ٢٨٣]

قال ابن الأثير: واقتتل الناس قتالاً شديداً. فأخذ رسول اللَّه ﷺ حفنة من التراب ورمى بها قريشاً وقال: «شاهت الوجوه».

الكامل لابن الأثير [٢/ ١٢٦]

(٣) قال ابن القيم: هذه الآية نزلت في شأن رميه ﷺ المشركين يوم بدر بقبضة من الحصباء، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته. ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه ﷺ مبدأ الرمي وهو القذف، ومن اللَّه سبحانه وتعالى نيابة، وهو الإيصال. فأضاف إليه رمي القذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته.

ونظير هذا قوله في الآية نفسها «فلم تقاتلوهم، ولكن اللَّه قتلهم». ثم قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ =

obeikandl.com

= ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فأخبر أنه وحده هو الذي تفرد بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرد بإيصال الحصباء إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية: أنه سبحانه أقام أسباباً ظاهرة لدفع المشركين، وتولى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافاً إليه، وبه، وهو خير الناصرين.

مدارج السالكين [٣/ ٢٧٣، ٢٧٤]

obeikandl.com

إطلاع اللّه تعالى رسوله ﷺ على أحداث غزوة مؤتة وهو في المدينة

رسول اللّه ﷺ حين نزل عليه القرآن بالترغيب في الجهاد[١] كاد أهل المدينة كلهم يخرجون، ولكن الأمر كان يقتضي المحافظة على أمرين: الجهاد. واستقبال منهج اللّه. إذاً الأمر يحتاج إلى طائفتين من المسلمين، طائفة تجاهد، وطائفة تتعلم من رسول اللّه ﷺ لتعلم الناس[٢]. وإذا كان رسول اللّه ﷺ والمؤمنون حوله، فليس هناك مشكلة، فإن كانوا في المدينة بلا جهاد.. تكون هذه الفترة استقبال لمنهج السماء، وإذا خرج رسول اللّه ﷺ للجهاد فلا مشكلة أيضاً، لأنهم سيخرجون معه، وفي هذه الحالة يكون الجهاد موجوداً والاستقبال موجوداً.

ولكن المشكلة تأتي إذا كان رسول اللّه ﷺ ليس مع الخارجين للجهاد، ولكنه باقٍ في المدينة.. هنا نحتاج إلى من يكونون حول رسول اللّه ﷺ ليستقبلوا

---

(١) قال ابن كثير: ولما استقر رسول اللّه ﷺ بالمدينة بين أظهر الأنصار وتكفلوا بنصره ومنعه من الأسود والأحمر؛ رمتهم العرب قاطبة عن قوس واحدة، وتعرضوا لهم من كل جانب، وكان اللّه سبحانه قد أذن للمسلمين في الجهاد في سورة الحج ـ وهي مدنية[١] ـ في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] ثم لما صاروا في المدينة وصارت لهم شوكة وعضد كتب اللّه عليهم الجهاد كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

سيرة الرسول ﷺ [٥٦، ٥٧]

(٢) قال اللّه تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال القرطبي: هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم، لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر فيتركوه وحده.

تفسير القرطبي [٨/ ٢٩٣]

---

(١) في الأصل «مكية» وهو خطأ.

منه ويبلغوا الآخرين، في هذه الحالة لا بدّ أن ينقسم المؤمنون إلى قسمين: قسم يبقى مع رسول اللّه ﷺ يتعلم المنهج ويبلغه للناس، وقسم مجاهد يخرج للقتال في سبيل اللّه. وكان رسول اللّه ﷺ إذا خرج مع المؤمنين للقتال يسمونها غزوة، وإذا لم يخرج وأرسل من يقود الحرب بدلاً منه ﷺ يسمونها سرية، ولذلك هناك الغزوات والسرايا(١).

والمشكلة ليست في الغزوات؛ لأن الرسول ﷺ سيكون مع المجاهدين، إنما المشكلة في السرايا التي لا يخرج فيها. وهناك سرية واحدة سميت غزوة مع أن رسول اللّه ﷺ لم يحضرها، وهي «غزوة مؤتة»(٢) وكانت معركة حاسمة استشهد فيها كثيرون(٣)، وانتقلت الراية من صحابي إلى صحابي إلى صحابي.. يحمل الصحابي الراية فيستشهد فيأخذها غيره وهكذا(٤).. فقالوا: هذه لا يمكن أن تسمى سرية، وإنما

(١) راجع كتاب غزوات الرسول ﷺ للشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي فهو نفيس في بابه، وهو من منشورات مكتبة التراث الإسلامي.

(٢) قال ابن كثير: لما كان في جمادى الآخرة من سنة ثمان بعث ﷺ الأمراء إلى مؤتة، وهي قرية من أرض الشام.

سيرة الرسول ﷺ [١٢٠]

(٣) قال ابن كثير: ومع كثرة هذا العدو والعدد وقلة عدد المسلمين بالنسبة إليهم لم يُقْتَل من المسلمين خلق كثير على ما ذكره أهل السير، فإنهم لم يذكروا فيما سَمَّوا إلا نحو العشرة.

سيرة الرسول ﷺ [١٢١]

(٤) قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس، واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول اللّه ﷺ حتى شاط في رماح القوم(١)، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل: فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام(٢).

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فلما قتل جعفر أخذ عبد اللّه بن رواحة الراية، ثم تقدم بها - وهو على فرسه - فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه ... مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنه ... هل أنت إلا نطفة في شنه

السيرة النبوية [٣/ ٣٩٢] =

(١) المراد أنه هلك وقتل تحت ضربات السيوف والرماح.

(٢) إسناده منقطع وهو من أنواع الضعيف. سيرة ابن هشام [٣/ ٣٩١].

openkanal.com

تسمى غزوة؛ لأنه كان فيها عنف وحرب قاسية؛ ولأن رسول الله ﷺ قال لهم وهو في المدينة: إن استشهد فلان فيحمل الراية فلان، ثم فلان[١].

وكانت هذه هي الغزوة الوحيد التي رتب فيها رسول الله ﷺ القيادات المتتالية في الغزوة؛ لأنه ﷺ عنده علم من عند الله بأن فلاناً سيستشهد أولاً، ويليه فلان ثم فلان، وكان الرسول ﷺ وهو في المدينة والغزوة دائرة يقول: أخذ الراية فلان فاستشهد، ثم قال: وبعده أخذها فلان فاستشهد، ثم قال: وبعده أخذها فلان واستشهد، وكأن الرسول ﷺ يذيع أخبار المعركة[٢]. فقالوا: شهدها رسول الله ﷺ فتسمى غزوة.

❁ ❁ ❁

= قال ابن هشام: ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل.
ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين: اصطلحوا إلى رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس.
سيرة ابن هشام [٣/ ٣٩٣]

(١) قال ابن هشام:
قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس» فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله، وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ قال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود.
السيرة النبوية [٣/ ٣٨٥، ٣٨٦]

(٢) قال ابن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً» قال: ثم صمت رسول الله حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً»[١].
سيرة ابن هشام [٣/ ٣٩٣، ٣٩٤]

---

(١) إسناده منقطع، وصح مختصراً بذكر النعي فقط.

إخبار النبي ﷺ بما سيكون بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما

في غزوة الحديبية أبرم الرسول ﷺ معاهدة أو صلحاً بينه وبين كفار قريش، هذه المعاهدة لم يكن بعض الصحابة راضين عنها، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه مثلاً قال: لا نقبل الدنية في ديننا، والله لا نعاهدهم[1]. وعلي ابن أبي طالب

---

(١) قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله، وقالوا له: ائت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟، قال: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني» قال: فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً.

قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب: باسمك اللهم، قال: فقال رسول الله ﷺ: أكتب: باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله ﷺ: اكتب، =

رضي اللَّه عنه يقول: ما أكتبها. وذلك عندما طلب منه أن يكتب المعاهدة فكتب: هذا ما تعاهد عليه محمد رسول اللَّه ﷺ، فرفض الكفار هذه العبارة وقالوا: لو كنا مؤمنين بأنك رسول اللَّه ما حاربناك ولا كتبنا هذا العهد، وطلبوا أن يكتب هذا ما تعاهد عليه محمد بن عبد اللَّه.

أما علي بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنه الذي كان يكتب هذه المعاهدة فقد امتنع عن الكتابة، وقال: ما أكتبها إلا محمد رسول اللَّه ﷺ، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «اكتب ما يقولون».. فرد علي رضي اللَّه تعالى عنه قائلاً: لا أكتبها أبداً[1].. والكفار أصروا على أن يكتبها محمد بن عبد اللَّه؛ لأنهم لو كانوا يؤمنون أنه رسول اللَّه ما تصدوا له؛ بل لآمنوا به.

فإذا برسول اللَّه ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنه: «ستسام مثلها فتقبل». أي سيطلب منك مثل هذا الطلب في موقف مثل هذا الموقف فتقبله، فاتركني أقبله الآن لأنك ستقبله بعد سنوات. وتمر السنوات ويحدث الخلاف بين علي ومعاوية، ويتفقا على معاهدة لفض النزاع، ويؤتى بمن

= هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللَّه سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، ويأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب والسيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها.

[السيرة النبوية ٣/ ٣١٩، ٣٢٠]

(١) عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال: «لما صالح رسول اللَّه ﷺ أهل الحديبية كتب علي بن أبي طالب رضوان اللَّه عليه بينهم كتاباً، فكتب محمد رسول اللَّه فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول اللَّه ﷺ، لو كنت رسولاً لم نقاتلك: «امحه»: فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه. فمحاه رسول اللَّه ﷺ بيده، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح. فسألوه. ما جلبان السلاح؟ فقال: القراب بما فيه».

أخرجه البخاري [٢٦٩٨]

obeikandl.com

يكتب ويملي عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: هذا ما تعاهد وتعاقد عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويعترض معاوية وأنصاره. ويقولون لو كنت أمير المؤمنين ما كنا نحاربك.. اكتب: هذا ما تعاهد عليه وتعاقد عليه علي بن أبي طالب، ويقبل علي ويكتب ما أرادوا، وهو يتذكر قول رسول اللّه ﷺ يوم الحديبية: «ستسام مثلها فتقبل».

obeikandl.com

ومن معجزاته ﷺ
تكثير الطعام والشراب

من معجزات الرسول ﷺ أنه كان يضع يده الشريفة في الطعام القليل فيكفي الجيش[١] . . وينبع الماء من بين أصابعه الشريفة ويشرب منه

(١) عن دكين بن سعيد الخثعمي، قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام، فقال النبي ﷺ لعمر: «قم فأعطهم» قال: يا رسول الله، ما عندي إلا ما يقيظني والصبية ـ قال وكيع: القيظ في كلام العرب: أربعة أشهر ـ قال: «قم فأعطهم» قال عمر: يا رسول الله، سمعاً وطاعة، قال: فقام عمر وقمنا معه، فصعد بنا إلى غرفة له، فأخرج المفتاح من حجزته ففتح الباب ـ قال دكين: فإذا في الغرفة من التمر شبيه بالفصيل الرابض ـ قال: شأنكم وكأنا لم نرزأ منه تمرة[١].

وعن سمرة بن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل، تقوم عشرة وتقعد عشرة، قلنا: فما كانت تمد؟ قال: من أي شيء تعجب، ما كانت تمد إلا من هاهنا وأشار بيده إلى السماء[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، حدثني أبي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأصاب الناس مخمصة فاستأذن الناس رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهورهم وقالوا: يبلغنا الله به، فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد هم أن يأذن لهم في نحر بعض ظهرهم قال: يا رسول الله، كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غداً جياعاً أرجالاً؟، ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدعو لنا ببقايا أزوادهم فتجمعها، ثم تدعو الله فيها بالبركة، فإن الله تبارك وتعالى سيبلغنا بدعوتك، أو قال: سيبارك لنا في دعوتك، فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم فجعل الناس يجيئون بالحثية من الطعام وفوق ذلك، وكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر، فجمعها رسول الله ﷺ، ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو، ثم دعا الجيش بأوعيتهم، فأمرهم أن يحتثوا، فما بقي في الجيش =

(١) أخرجه أحمد في المسند [٤/ ١٧٤].

(٢) أخرجه الترمذي [٣٧٢٥] وقال: حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٢٨٦٦].

المجاهدون. وكانت القلة تتغلب على الكثرة بقدرة اللّه، وكانت الملائكة تناصرهم في المعركة.

= وعاء إلا ملؤوه وبقي مثله، فضحك رسول اللّه ﷺ حتى بدت نواجده، فقال: «أشهد أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه، لا يلقى اللّه عبد مؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة»[1].

(١) أخرجه أحمد في المسند [٣/ ٤١٨] واللفظ له والنسائي في عمل اليوم والليلة [١١٤٨].

obeikandl.com

استشهاد عمار بن ياسر رضي اللّه عنهما

عمار بن ياسر أحد الصحابة الذين عاشوا مع رسول اللّه ﷺ، وعندما جاءت المعركة بين علي ومعاوية رضي اللّه عنهما، انضم عمار بن ياسر إلى صفوف علي رضي اللّه عنه، وقُتل عمار في المعركة فتنبه الصحابة عليهم رضوان اللّه إلى تأويل حديث عن رسول اللّه ﷺ: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»(١).

(١) عن عكرمة قال، قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه. فانطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: «كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين. فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. قال يقول عمار: أعوذ باللّه من الفتن».

أخرجه البخاري [٤٤٧، ٢٨١٢]

وقال الحافظ ابن حجر: فإن قيل كان قتله بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار على علي بعد قتل عمار بلا خلاف بين أهل العلم بذلك، فإن ابتداء أمر الخوارج كان عقب التحكيم، وكان التحكيم عقب انتهاء القتال بصفين وكان قتل عمار قبل ذلك قطعاً، فكيف بعثه إليهم علي بعد موته.

ثانيها أن الذين بعث إليهم علي عماراً إنما هو أهل الكوفة بعثه يستنفرهم على قتال عائشة ومن معها قبل وقعة الجمل، وكان فيهم من الصحابة جماعة كمن كان مع معاوية وأفضل، وسيأتي التصريح بذلك عند المصنف في كتاب الفتن، فما فر منه المهلب وقع في مثله مع زيادة إطلاقه عليهم تسمية الخوارج وحاشاهم من ذلك. ثالثها أنه شرح على ظاهر ما وقع في هذه الرواية الناقصة، ويمكن حمله على أن المراد بالذين يدعونه إلى النار كفار قريش كما صرح به بعض الشراح، ولكن وقع في رواية ابن السكيت وكريمة وغيرهما وكذا ثبت في نسخة الصغاني التي ذكر أنه قابلها على نسخة الفربري التي بخطه زيادة توضح المراد وتفصح بأن الضمير يعود على قتلته وهم أهل الشام ولفظه: «ويح =

= عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم» الحديث، واعلم أن هذه الزيادة لم يذكرها الحميدي في الجمع وقال: إن البخاري لم يذكرها أصلاً، وكذا قال ابن مسعود. قال الحميدي: ولعلها لم تقع للبخاري، أو وقعت فحذفها عمداً. قال: وقد أخرجها الإسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث. قلت: ويظهر لي أن البخاري حذفها عمداً وذلك لنكتة خفية، وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ فدل على أنها في هذه الرواية مدرجة، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرط البخاري، وقد أخرجها البزار من طريق داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد فذكر الحديث في بناء المسجد وحملهم لبنة لبنة وفيه قال أبو سعيد «فحدثني أصحابي ولم أسمع من رسول الله ﷺ أنه قال: يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية» اهـ. وابن سمية هو عمار وسمية اسم أمه. وهذا الإسناد على شرط مسلم، وقد عين أبو سعيد من حدثه بذلك، ففي مسلم والنسائي من طريق أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «حدثني من هو خير مني أبو قتادة»[1] فذكره فاقتصر البخاري على القدر الذي سمعه أبو سعيد من النبي ﷺ دون غيره، وهذا دال على دقة فهمه وتبحره في الاطلاع على علل الأحاديث. وفي هذا الحديث زيادة أيضاً لم تقع في رواية البخاري، وهي عند الإسماعيلي وأبي نعيم في المستخرج من طريق خالد الواسطي عن خالد الحذاء وهي: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابكم؟ قال: إني أريد من الله الأجر» وقد تقدمت زيادة معمر فيه أيضاً.

فائدة: روى حديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية» جماعة من الصحابة: منهم قتادة بن النعمان كما تقدم، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو اليسر وعمار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدهم، وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه.

قوله في آخر الحديث: «يقول عمار أعوذ بالله من الفتن» فيه دليل على استحباب الاستعاذة من الفتن، ولو علم المرء أنه متمسك فيه بالحق، لأنها قد تفضي إلى وقوع من لا يرى وقوعه.

قال ابن بطال: وفيه رد الحديث الشائع: لا تستعيذوا بالله من الفتن فإن فيها حصاد المنافقين.

قلت: وقد سئل ابن وهب قديماً عنه فقال: إنه باطل، وسيأتي في كتاب الفتن ذكر كثير =

(١) أخرجه مسلم [٢٩١٥/ ٧٠، ٧١].

= من أحكامها وما ينبغي من العمل عند وقوعها. أعاذنا الله تعالى مما ظهر منها وما بطن.

فتح الباري [١/ ٧٠١ ـ ٧٠٣]

وقال النووي: قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليا ـ رضي الله عنه ـ كان محقاً مصيباً، والطائفة الأخرى بغاة، لكنهم مجتهدون، فلا إثم عليهم، لذلك، كما قدمناه في مواضع منها: هذا الباب، وفيه: معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها أن عماراً يموت قتيلاً، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقاتلون، وأنهم يكونوا فرقتين باغية وغيرها، وكل هذا قد وقع مثل فلق الصبح، صلى وسلم الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

شرح النووي على مسلم [٩/ ٢٧٣]

obeikandl.com

القرآن الكريم
المعجزة الكبرى الخالدة

انفرد النبي ﷺ عن الأنبياء والرسل بمعجزة تبقى، ومعنى المعجزة الباقية أن تظل موجودة مع الرسالة والمنهج؛ ليستطيع كل متبع لمنهجه ﷺ أن يقول: منهج الإسلام هو القرآن، ومعجزة نبي الإسلام هي القرآن، ولو أن المعجزة جاءت كبقية المعجزات السابقة لإخوانه السابقين من الرسل لكانت قد انتهت بانتهاء زمانها، بحيث تصبح خبراً وتاريخاً، فنحن نعلم أن البحر قد انشق لموسى. نعرفه خبراً ولكن لا نشهده مشهداً، ونعرف أن عيسى عليه السلام أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله، ولكننا لم نَرَ ذلك، ولم نعرفه إلا خبراً، ولولا أن القرآن الذي نؤمن به هو الذي قص علينا هذا القصص لكنا تشككنا فيه.

ولكن رسول الله ﷺ جاء بمنهج شامل إلى أن تقوم الساعة فيجب أن تظل معجزته لتحرس المنهج، ولتقوم دليلاً على صدق بلاغ الرسول ﷺ. لذلك كانت معجزته ﷺ الكبرى هي القرآن، وليستطيع كل مسلم إلى أن تقوم الساعة أن يقول: محمد نبي الإسلام ومعجزته الكبرى الخالدة هي القرآن.

إذاً.. ما دام القرآن معجزة.. فلا بدّ أن يُعْجِز كل العالم. فالذين يقولون إن هذا الإعجاز كان للبلاغة والفصاحة وللمنطق وللبيان[١] وأمة العرب أمة بيان[٢].

---

(١) قال عبد القاهر الجرجاني: وذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي إن كان على حدٍّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهياً إلى غاية لا يطمع إليها بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك، إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب.

(٢) قال الجاحظ: «ونحن أبقاك الله إذا ادَّعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة، من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، جمعنا العلم إن ذلك لهم شاهدٌ صادقٌ، من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، =

نقول: هذه معجزة تقوم عند العرب، ولكننا إن نقلنا المنهج إلى الإنجليز، أو الفرنسيين، أو إلى الألمان، أو إلى الإيطاليين، أو إلى أي أمة في العالم، فالمنهج بإعجازه يظل قائماً.

ولو قال أحد منهم نحن لا نعرف اللغة العربية، ولو كنا نعرف اللغة العربية لكان منا من جاء بكلام أفضل من هذا؟ ولذلك شاء الحق سبحانه أن يكون في القرآن جانب يظل معجزاً لكل الأقوام، وهي المعجزات التي لا تختلف فيها اللغات ولا تختلف فيها الأمم، وهي المعجزات العقلية[1] - بمعنى أن يخبر رسول الله ﷺ وهو الرسول الأمي، والذي لم يعرف له نشاط في علم، ولا نشاط في ثقافة، بأشياء تتحقق بعد مضى القرون[2]. فالذين لا يؤمنون بها ولا بأنها

= والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليومَ ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك، إلا في اليسير والشيء القليل».

[البيان والتبيين ٣/ ٢٩، وراجع الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ٥٧٦ دلائل الأعجاز]

(١) قال أبو سليمان الخطابي: قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعدُ صدور عن يرى، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته.

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [٢١]

(٢) قال الخطابي: وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١ ـ ٣] وكقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [الفتح: ١٦] ونحوهما من الأخبار التي صدقت أقوالها مواقع أكوانها.

قلت: ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، فقال: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه.

ثلاث رسائل في الأعجاز [٢٣، ٢٤]

قال الرماني: وأما الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة فإنه لما كان لا يجوز أن تقع على الاتفاق دل على أنها من عند علام الغيوب، فمن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] فكان الأمر كما وعد من الظفر بإحدى الطائفتين: العير التي كان فيها أبو سفيان أو الجيش الذين خرجوا يحمونها من قريش، =

obeikandl.com

جاءت من عند اللّه نقول لهم: إذاً.. أنتم تريدون أن ترفعوا محمداً إلى مرتبة الألوهية، ذلك أنه قال بأشياء منذ أربعة عشر قرناً وتتحقق الآن. لا يقولها إلا عالم بما يكون في كونه. لذلك يجب أن تعلم أن القرآن العظيم كما أنه تضمن المنهج، فيه معجزات كونية لا تختلف فيها كل الأمم، ولا تختص بلغة دون لغة.

ومعجزة القرآن في نظمه وفصاحته ومعانيه[١]، وهي تختلف عن المعجزات المرئية التي شاهدها المعاصرون لموسى عليه السلام كشق البحر بالعصا أو رؤية العصا وهي تصير حية تلقف كل ما ألقاه السحرة أو معجزة عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص. إنها معجزة مسموعة ودائمة[٢]. والسمع هو آلة الإدراك للنفس البشرية. وهو أول آلة إدراك تنبه الإنسان، وهو آلة الإدراك الوحيدة التي

= فأظفرهم اللّه عزّ وجلّ بقريش يوم بدر على ما تقدم به الوعد.
ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١ ـ ٣] ومنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] ومنه: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [البقرة: ٩٤، ٩٥] ومنه: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] ومنه: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [١١٠]

(١) قال الخطابي: فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يُرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات اللّه بمن عصى وعاند منه، منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الباقية من الزمان، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به، ونهى عنه.

ثلاث رسائل في الإعجاز [٢٧، ٢٨]

(٢) قال الرماني: وأما قياسه بكل معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة إذ كان سبيلُ فلقِ البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز، إذا خرج عن العادة وقعد الخلق فيه عن المعارضة.

ثلاث رسائل في الإعجاز [١١١]

obeikandl.com

تستجيب وقت النوم وتؤدي مهمتها، لأن تصميمها يحتم إمكانات مواصلة مهمتها وقت النوم.

والقرآن معجزة عامة زماناً ومكاناً، له إعجاز يظهر في كل زمان ومكان، منذ نزوله من السماء وحتى يومنا هذا وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ستظل للقرآن معجزات تبهر الدنيا كلها. وتؤكد أن القرآن من عند اللّه، فيه إعجاز لا ينتهي، وفيه عطاء لكل جيل.

وهكذا جاء القرآن معجزة رسول اللّه ﷺ، لا ينتهي أمرها إلى أن تقوم الساعة. وهي معجزة تتحدث إلى العقل وهو القدر المشترك عند الجميع. إنها معجزة دائمة لها واقع متجدد، فيستطيع كل واحد الآن أن يقول: محمد رسول اللّه ﷺ، وهذه هي معجزته وذلك لأنها واقع ولا يستطيع أن يقول ذلك عن معجزة موسى أو عيسى عليهما السلام مثلاً؛ لأنها الآن خبر.

والمعجزة بالنسبة للرسل السابقين على رسول اللّه ﷺ شيء، وكتاب المنهج شيء آخر، فصحف إبراهيم عليه السلام[1] فيها المنهج، لكنها ليست المعجزة، فمعجزته عليه السلام هي: محاولة إحراقه بالنار، ونجاته منها. وموسى عليه السلام معجزاته العصا التي صارت حية، وفلق البحر بها، لكن كتاب منهجه

---

(١) قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٦، ٣٧].
قال ابن الجوزي: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وصحف إبراهيم. وفي حديث أبي ذر عن النبي ﷺ «أن اللّه تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف.

زاد المسير [٧/ ٢٣٦]

قال ابن عطية: وروي أن «صحف إبراهيم» نزلت في أول ليلة من رمضان، والتوراة في السادسة من رمضان، والزبور في اثني عشرة منه، والإنجيل في ثمان عشرة منه، والقرآن في أربع عشرة[1].

المحرر الوجيز [٥/ ٤٧١]

---

(١) عن واثلة بن الأسقع رضي اللّه تعالى عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان». رواه أحمد في مسنده [٤/ ١٠٧] والطيالسي [١٩١٨] والطحاوي في مشكل الآثار [٢/ ١٥٤] وذكره الهيثمي في المجمع [٧/ ٤٦] وقال: وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجال ثقات. وانظر الصحيحة [١٤٨٠].

هو التوراة. وعيسى عليه السلام كتابه هو الإنجيل، ومعجزته إبراء الأكمه والأبرص بإذن اللّه.

إذاً.. فقد كانت كل معجزات الأنبياء منفصلة عن المنهج. إلا رسول اللّه محمد ﷺ، فإن معجزته هي عين منهجه. إن معجزته القرآن، ومنهجه القرآن.. لماذا؟ لأن رسول اللّه ﷺ جاء بالمنهج الذي يستمر إلى أن تقوم الساعة، فلا بدّ أن تظل المعجزة مع المنهج حتى تكون حجة على الناس إلى قيام الساعة.

obeikandl.com